حفظ النفس ومقاصد الامن الفكري في عصر التحديات رؤية تحليلية

مراجعة مقال Subject Rview

م.د.ساجدة علاوي داود

Sajida.a@cois.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية

الملخص

يتناول هذا المقال مفهوم حفظ النفس والأمن الفكري، حيث يسعى إلى تحليل المقاصد والمفاهيم المتعلقة بحفظ النفس والأمن الفكري في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية،و يهدف إلى توضيح أهمية الأمن الفكري في حماية الذات والمجتمع، واستعراض المفاهيم الأساسية المتعلقة بحفظ النفس والأمن الفكري، كما يبحث في التحديات التي تواجه الأمن الفكري وسبل تعزيزها.

الكلمات المفتاحية: حفظ النفس، الأمن الفكري، مقاصد، مفاهيم

Preserving Life and the Objectives of Intellectual Security in an Age of Challenges: An Analytical Perspective

Dr.Sajida Allawi Dawood

University of Baghdad College of Islamic Sciences

Abstract:

This research examines the concepts of self-preservation and intellectual security, analyzing the objectives and concepts related to these two aspects in the face of intellectual and social challenges. The research aims to clarify the importance of intellectual security in protecting the individual and society, and to review the fundamental concepts related to self-preservation and intellectual security. It also explores the challenges facing intellectual security and ways to enhance it.

Keywords: Self-preservation, intellectual security, objectives, concepts

المقدمة

يعد حفظ النفس والأمن الفكري من أهم المقاصد التي يسعى الفرد والمجتمع إلى تحقيقها في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية المتزايدة، ففي ظل التطورات السريعة والتغيرات المستمرة، أصبح الأمن الفكري ضرورة ملحة لحماية الذات والمجتمع من الأفكار الضالة والمنحرفة.

تكمن الإشكالية في هذا السؤال: كيف يمكن تعزيز الأمن الفكري وحفظ النفس في ظل التحديات الفكرية والاجتماعية المتزايدة.

حيث تتجلى أهمية مقالنا هذا في كونه يسعى إلى تسليط الضوء على مفهوم حفظ النفس والأمن الفكري، وتحليل المقاصد والمفاهيم المتعلقة به، مما يسهم في تعزيز الوعي بأهمية الأمن الفكري في حماية المجتمع.

ونتاول في موضوع حفظ النفس والأمن الفكري من منظور شامل، مستعرضاً المفاهيم والمقاصد المتعلقة به، والتحديات التي تواجهه.

اولا:مفهوم حفظ النفس:

النَّفْس هي الرُّوح وخرجت نفْسه ، أي روحه كما في قوله تعالى في سورة الزمر: **چ ٱ ب پ پ 1چ** ، ومن المجاز : النفس: هو الدم ، يقال سالت نفسه ، وفي الأساس : دفق نفسه ، أي دمه(الفيروز ابادي،٧٤٥،١٩٩٩) .

ومن هنا يتبين إن معنى النفس في اللغة هو الروح .

اما اصطلاحا كما يعرفها الجرجاني : هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية، وسماها الحكيم الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه ... لأن الموت هو الانقطاع الكلي (الجرجاني،١٩٨١،٢٣٤) .

اما حفظ النفس فهي : ((هو حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً ، لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم)) (ابن عاشور،٢٣٧،١٩٩٩) .

ثانيا: مفهوم الأمن الفكري

يعد الأمن الفكري باعتباره مصطلحاً مركباً هو سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع ، أو إلى الإلحاد، واما مصطلح الأمن الفكري الإسلامي هو: سلامة فكر المسلمين من الانحراف والتطرف والغلو والخروج عن الوسطية، وبناءه بناء ايمانياً صحيحاً، وتنمية قدراته في التفكير المنضبط ، بما يتفق مع معطيات العقيدة الإسلامية، والتصدي لكل

فكرٍ دخيل يحاول أن يصادر حريّته الفكرية سواء من الانحرافات الداخلية أم الغزو الخارجي وذلك بالوسائل المتاحة(جهاد،٢٠١٦،٥)، كما ورد هذا المصطلح عند التابعين مثل الحسن البصري إذ يقول لسان العاقل وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، ويقول أيضاً تفكر ساعة خيرٌ من قيام الليل، وعند الصوفية للفكر والتفكر اهتمام كبير، حيث نجد ذلك في كلام الجنيد البغدادي حيث يقول: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد(المناوي،١٩٨٢،٢٦٣).

فالأمن الفكري هو: تحصين فكر المسلمين من الزيغ والانحراف والتطرف والغلو للثبات على الوسطية التي يريدها الإسلام للوقوف بوجه الفتن وضمان سلامة المجتمع سعياً لنيل مرضاة الله تعالى.

ثالثا: فوائد معرفة المقاصد واهميتها

((أنَّ تحديد الهدف والمقصد لعمل ما هو الباعث لأدائه، والمحرك لتحقيقه، والدافع لإنجازه والامتثال له، والموضح للغاية منه)).

إنَّ تحديد الهدف والمقصد يعدُّ عنصراً أساسياً في رسم الطريق القويم للوصول إليه، لما له من أثر في اختصار الزمن، وحسن اختيار المنهج الأمثل، بما يمنع تفرق الأهواء وتشتت الجهود. وتكتسب معرفة مقاصد الأمن الفكري أهميةً بالغة وفوائد جمة، لا تقتصر على المسلم بوجه عام، بل تمتد على نحوٍ أخص إلى الباحث والعالم والفقيه والمجتهد، لما لهذه المعرفة من دورٍ محوري في ترشيد الفكر، وضبط الاجتهاد، وتحقيق الاتزان المنهجي. ويمكن إجمال هذه الأهمية في النقاط الآتية:

١. تسهم معرفة مقاصد الأمن الفكري في إبراز الأهداف السامية التي استهدفتها الشريعة الإسلامية من إقرار مبدأ الأمن الفكري، إذ تبين الغايات الرفيعة التي أرادت تحقيقها في هذا المجال، بما يضمن تحصيل مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم. ويترتب على ذلك صيانة الفكر الإسلامي السليم وتأمينه، وحمايته من مظاهر الانحراف والقهر والتحريف والتشويه، بما يسهم في بناء الحضارات، وضمان استقرار الأجيال في أجواء من السلم والعيش الكريم. وتتجلّى أهمية ذلك بوضوح عند مقارنته بأحوال بعض الشعوب والأمم التي وقعت في ظلمات الجهل والانحراف نتيجة تكميم الأفكار الرشيدة، وإطلاق المجال للأفكار المظلمة المنحرفة دون ضوابط.

٢. تؤكّد مقاصد الأمن الفكري على ضرورة اتخاذ الوسائل والسبل الكفيلة بتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا، والفوز برضوان الله تعالى في الآخرة، وهو ما شكل جوهر رسالة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ انصبت دعوتهم على ترسيخ هذه المقاصد وتحقيقها في واقع الناس. كما ينهض العلماء، بوصفهم ورثة الأنبياء، بمسؤولية الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، وبثّ قيم الخير والبر والفضيلة، والتحذير من الفساد والإثم والرذيلة والشر، وانطلاقاً من ذلك، عدَّت

وظائف الأنبياء من أنبل الأعمال وأشرف المهمات، لما لها من دورٍ محوري في تقرير حقوق الإنسان وصيانة العقول وحمايتها، باعتبار ذلك من أسمى الغايات وأقدس المقاصد. وعلى هذا النهجِ، يحرص الدعاة والمصلحون على اقتفاء أثر الرسل، والدعوة إلى الالتزام بالشرعِ الحنيف، تحقيقا لسعادة بني الإنسان، ومنعا للاعتداء على حقوقهم أو تجاوز حدودهم، وفي مقدمتها تأمين الحماية للفكر الرشيد الذي فضل الله تعالى به الإنسان على سائر المخلوقات، وذلك باتخاذ جميع الوسائل المشروعة والمتاحة.

٣. إنَّ دين الإسلام دين الفطرة السوية، فهو يلبّي حاجة الإنسان، ويوجه رغباته لما فيه خيره وسعادته ، ومن متطلبات هذه الفطرة ودواعي عمارة الأرض اجتماع الناس، وهذا لا ينتظم دون أمن يتفيَّأ ظلاله المجتمع، واستقرار يضرب أطنابه في وطن ينعم بالسلام ويشيع التراحم بين أفراده ، وحينئذ يثمر العمل، ويعمُّ الرخاء ، وتزدهر الحضارة ، فالأمن إذن فريضة دينية ومقصد شرعي، حيث حصرت المقاصد الشرعية في حفظ الضرورات الخمس التي هي مصالح لا يستغني عنها المجتمع، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والمقصود بحفظها: توفير البيئة المناسبة لشعور المجتمع بالأمن عليها، وحمايتها بكل وسيلة تمنع انتهاكها، سواء أكانت هذه الوسيلة ردعاً من جهة السلطة ، أو بناء على قناعة ذاتية ؛ تمنع صاحبها من الاعتداء عليها(الماوردي،١٩٩٣، ٧٦) .

بهذه الأهميَّة وهذه الفوائد يتحتَّم على الباحث، والعالم، والمسلمين جميعاً أنْ يضعوا مقاصد الأمن الفكري ومن اهمها مقصد حفظ النفس نصب أعينهم؛ لتضيء لهم الطريق، وتصحح لهم المسار، وتعينهم على الوصول إلى الحق والعدل والصواب والسداد .

وقد لمس الكثير من الساسة والباحثين المعاصرين أهميَّة الأمن الفكري، وضرورته، فشمَّر الكثير منهم ساعد الجد إلى الاهتمام به ، فعملوا المؤتمرات ، والندوات، والبحوث، والمقالات، وغير ذلك بغية الوصول إلى مفهومه لفظاً ومعنى لتطبيقه على أرض الواقع ، وذلك لأنَّهم أدركوا أنَّ حفظ النفس لا يقل أهميَّةً عن غيرها من الضروريات الخمسة التي حدَّدتها شريعتنا الإسلامية، وذبَّ عنها فكرنا الإسلامي .

رابعا: الحفاظ على النفس

يقصد بالنفس الإنسانية، ذات الإنسان، وهي مقصودة بذاتها في الإيجاد والتكوين، وفي الحفظ والرعاية ، ولأهمية النفس ومكانتها شرع الإسلام للحفاظ عليها ،اذ إنَّ جلَّ ما يشهده العالم على مر العصور وفي وقتنا الحالي خاصة من إزهاق للنفوس البشرية بشتى أنواع التعذيب والقتل، وبشتى الذرائع؛ كلُّ ذلك ناشئ من الانحراف الفكري؛ فلو بحثنا عن أسباب الحروب التي تقام والتطاحن الذي يبدو جلياً وعياناً في العالم لوجدنا أنَّها ناشئة من خلل في التفكير، وفهم للأديان والرسالات فهماً سقيماً ، وفهمٍ لأغلب منشئي الفرق والطوائف فهماً معكوساً ، والغلو والتطرف

في المعتقدات ، والأديان، والأحزاب، والطوائف ممَّا لا يرضاه دين سماوي، ولا عقل بشري سليم؛ إذ قد شرع الله تعالى ما يحقّق للنفس البشرية مصالحها، ومنع من الاعتداء عليها بأيِ صورة ، وشرع العقوبات الزاجرة والرادعة لمن يعتدي عليها، وأكثر من الوسائل التي تحافظ عليها بأنواعها شتى، ولن يتحقق ذلك إلا بالأمن الفكري ٠

فحفظ النفس هو الكلية المقاصدية الشرعية الثانية؛ وهي تحمل في طيَّاتها: مراعاة حق النفس في الحياة، والسلامة، والكرامة ، والعزة ؛ قال تعالى في سورة الاسراء: چ ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا ٹچ، وقال تعالى في سورة التين: چلقد خلقنا الانسان في احسن تقويمٹچ.

يعدّ الحق في الحياة، والمقصود به حفظ النفس، من الحقوق الأساسية التي قررها الشرع الإسلامي، لما يمثّله من صيانة للشخصية الإنسانية في عناصرها المادية والمعنوية. فالعنصر المادي يتمثّل في سلامة الجسد بجميع أعضائه من الإتلاف والاعتداء، أما العنصر المعنوي فيشمل الكرامة الإنسانية، والأفكار الذهنية، والمعتقدات، وسائر القيم المرتبطة بوجود الإنسان.

وقد جعل الإسلام حياة الإنسان مقصدا أساسا تبنى عليه سائر المقاصد الضرورية بعد حفظ الدين، إذ تتوقّف جميعها على وجود الإنسان وصيانة نفسه، ولذلك جاء حفظ النفس في أعلى مراتب التكليف الشرعي. وبناء على ذلك، اعتبر إزهاق النفس عمدا وعدوانا من أعظم الجرائم في ميزان الشريعة، لا لما ينطوي عليه من اعتداء على الفرد أو ذويه فحسب، بل لما يمثّله من انتهاك لحرمة الإنسانية جمعاء. وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة بوضوح، إذ جعل قتل النفس بغير حق بمنزلة قتل الناس جميعا، كما جعل إحياءها في حكم إحياء البشرية بأسرها، يقول الله تعالى في سورة المائدة: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ من قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ومن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ ولقد جاءتهم رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا منهم بعد ذلك فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ چچ ٠

ومن هنا كان حق الحياة حقا واجبا في آن واحد، لارتباطه بالتكليف والأمانة التي حملها الإنسان لعمارة الدنيا واستخلاف الله في الأرض، وتطبيقاً لسننه في الكون(جمل الليل،٣٢٣) .

بناء على هذا فمن كُبرى مقاصد الأمن الفكري هو حفظ النفس البشرية في جميع أطوار نشأتها من كل اعتداء عليها مهما كبر أو صغر وعلى رأسها القتل بذرائع اختلاف الآراء والمعتقدات والمذاهب ، وغير ذلك .

ووفقا لما سبق نستنتج بان حفظ النفس والأمن الفكري يتطلب تعزيز الوعي بأهمية الأمن الفكري، وتحليل التحديات التي تواجهه، وتبني استراتيجيات فعالة لتعزيزه، كما نستنتج أن الأمن الفكري يعد ضرورة ملحة لحماية الذات والمجتمع من الأفكار الضالة والمنحرفة.

وختاماً يسهم هذا المقال في تسليط الضوء على أهمية حفظ النفس والأمن الفكري، ويفتح المجال لمزيد من الدراسات والبحوث في هذا المجال الحيوي.